

نسر البحيرة

يسرى الأيوبي

كان النسر في باب وكره في أعلى جبل شامخ يشرف على بحيرة يحدق بعينيه الثاقبتين إلى جماعة الغربان في السهل على شواطئ البحيرة.. كان القوم في هرج ومرج، وقامت في ساحة خلاء منصة زينت بالأعلام، وزودت بالمicrophones ومكبرات الصوت أشرف على بنائها عشرة من نقاري الخشب ذوات المناقير الحادة، ووقف عليها حرس من الغربان مدججة بالبنادق والمسدسات ومدافع مضادة للطائرات.. كان ذلك اليوم يوم جلوس ملك الغربان على العرش، وتعالت أغاني الشحارير في مدح السود الأغر لريش الغربان الذي يفوق بسطوعه نور الشمس ويحمل من البركة واليمن ما لا تحمله مغدقات السحاب.. وصنف الطير في البروتوكول حول المنصة بقدر ما يحمل ريشه من سواد ميمون. وكانت مجرد لطخة داكنة خفية بين القوادم جواز سفر مقبول في الأجواء وفي رحلات الفضاء، وفي اكتساب الرزق من سطح البحار، وذرى الأشجار، وباطن الأرض.. أما الحمام البيضاء فكانت أشد الطير معاناة إذ لم يكن في ريشها ريشة واحدة سوداء، وحرمت حتى من دودة تسد بها رمقها. وكانت تطارد حيثما حلت من أرض إلى أرض، ومن شجرة إلى أخرى، وبياضها الساطع يفضحها فلا تستطيع الاختفاء عن العيون حتى في أحلك الليالي المظلمة. فاللوطواط الذي كان أول من وضع نفسه في خدمة ملك الغربان. وحراسته في الليل كان يلاحقها ويشي بها، فلا ترى حبة مهملة في البیدار بعد الحصاد فتهرع إليها، حتى يسد عليها الطريق وهي على قاب قوسين منها أو أدنى إلى أن يمر غراب فيلتهمها قبلها.. ولقد عرفت معنى الجوع ولكنها لم تسمح لكرامتها أن تتمهن، فهي صديقة البلبل

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

وأليفة ورفيقه صباح.. وكان الببل هو الوحيد الذي بقي صامتاً لا يغرس للليل الغربياني، ولا يسمح لنغمته الساحر أن يشنف أسماع المتسلطة والمنافقة من الطيور. ولم يعد بالتالي يظهر أبداً في حفلات الأنس والطرب. وكثيراً ما جاءت إليه وفود الغربان تلوح له بكل نفيس كي يستمر في الغناء فلابي.. فمنذ صمت الببل فقدت الغابة مسحتها القدسية، ولم تعد الحوريات تلجه في الليل المقرمة لتشنف أسماعها بتقطيب العذليب.. ولم يعد يسمع فيها إلا نقيق الضفادع التي الفت فرقة سمفونية قبل أن تعرف الأصول الأولى للغناء، وأسلمت أحدث الآلات الموسيقية. ولكن الطيور وهي ذوات آذان مرهفة كانت تصغي إلى نقيق الضفادع بملل واستياء.. ولم يكن ذلك الالحاد على غناء الببل بسبب حب الغربان لصوته الشجي، ولكن ليقال أن مغني القصر هو الببل، ولحدّ أكبر عدد من المستمعة حول المنصة التي سيخطب عليها ملك الغربان.. وللهذا، وبالرغم من صمته، كان هناك أمل عند الغربان أن يستسلم الببل أخيراً ويأتي طائعاً، ويكرس صوته العزيز المنال في تمجيد السواد.. ولعل ذلك التطريب الشجي يعلو على أنين الضحايا الذي يرافق صيحات الافتراض في ليل الغابة البهيم..

أخذ الببل والحمامة يلتقيان كل ليلة ويتشاكيان همومهما، ويتبادلان ما ينبع عليهم حياتهما، ويتقاسم واياها ذلك النذر اليسير من القوت الذي سمح له أن يحصل عليه للبقاء على حياته، فيحفظ ماء وجهه مكتفياً به، متوجباً ذل سؤال اللئام.. وكان كلامهما يذكران بحنين ترافقه التهدات عصراً حين كان يحكم الطيور نسر عرف بالعدل والنزاهة والشجاعة.. ولم يكن ذلك النسر الا والد ذلك النسر الذي كان يحدّج من باب وكره في أعلى الجبال احتفال ملك الغربان بعيد جلوسه على العرش..

تنهى النسر من قلب مكلوم فسمعته أمه وقالت:

- هون عليك يابني! لاشدة الا ويتبعها الفرج..

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- انتي أراقبهم منذ زمن ولا أعرف ماذا يبيتون.. ولكنني واثق
أن أمراً مريباً يجري ليس في صالح جماعة الطير ..
- وأنا أيضاً حامرتني الظنون، ولهذا لحقت بالغربان لأرى ماذا
يفعلون عند البحيرة.. كانوا يحقرنون، ولما اقتربت رشوني بسائل؛ ومنذ
ذلك اليوم يغش بصرى..
- ماذا حدث ياً ماه لجماعة الطير حتى تسمح لأكلة الجيف أن
تحكم فيها وتدرك شأنها. صغرت الدنيا ياً ماه! ان بعد مدى تحلق فيه
الطير اليوم هو عشرة أمتار عن وجه الأرض..
- لنترك الطير وشأنها يابني، يكفياناً ما نحن فيه..
لم يكن النسر يسمعها وهو يحدق في البعـد وقد استغرقه ما شاهده
إلى درجة الذهول.
- تعالى ياً مي وانظري إلى هناك.. هل تشاهدين شيئاً عند التقاء
النهر بالبحيرة؟
- واقتربت أم النسر من ابنها ونظرت إلى بعيد. لم يكن النهر يلمع
كعادته مثل أفعى فضية بين الشجر، ولا البحيرة تتلألأ كمرآة مصقولـة..
كانت هناك غشاوة تلف كل شيء .. وتحول في ناظريها ذرى الشجر
الأخضر إلى كتلة داكنة غبـة متلاحـمة لاتميز فيها شيئاً عن شيء..
- وفركت الأم عينيها مرة أخرى، ولكن الغشاوة لم تزل تحول
بينها وبين سلامـة الرؤـية، وحجبـت عيناً فأظلمـ كل شيء حولـها، أما العين
الأخرى فكانت الرؤـية فيها غبـة - انتي لا أرى جيداً يابني، اسمع هرجـا
ومرجـاً ولكنـي لا أرى.. منذ مدة وأنا أشعر بنظرـي يعتـمـ، ولكنـي اليوم
أكـاد لا أميـز شيئاً. هذه العـين لا أرى بها أبداً.. يجبـ أن تأخذـي إلى
الطـبيبـ يابـني قبلـ أن أـفقدـ بـصرـي كلـياً..
- لابـدـ من عـرضـكـ على طـبيبـ مـختصـ فـربـماـ كنتـ بـحاجـةـ إـلىـ
عملـيةـ جـراحـيةـ.. لـقدـ بـكيـتـ كـثـيرـاـ مـنـذـ فـقـدـتـ وـالـديـ.. وـكـمـ نـصـحتـكـ مـنـ
مـغـبةـ مـاـ تـفـعـلـينـ..

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- ان ما أصابني ليس من البكاء بل مما فعله بي الغربان .. هذا السائل الذي رشوني به! كنت أجتاز هذه البحيرة لأرى ماذا يفعلون فردوني قبل أن أصل إليهم ..

- المهم الآن كيف السبيل لإنقاذ عينيك؟

- افعل أي شيء يابني .. أنت معيلاً وسندى فلا تتركني تكتنفي الظلمات .. ابني خائفة، كل يوم يمر بنا هو أسوأ مما قبله .. نفذ كل مخزون لدينا من السمك والخفافيش ولحم الثعالب المقددة والثعابين .. رغم ما تعرفه من اقتصادي وتدبيري ..

- أصبحت الدنيا لجوجة في عادئها لي .. الغربان في كل مكان تمنعني من كسب قوتي .. ان هبطت الى البحيرة وجذتها في لباس خفر السواحل تصوّب بنادقها نحوّي، وتنعني من اصطياد أية سمكة، وان اقتربت من ذرى الأشجار نفح اليوم أبوaque واستتر حرس ملك الغربان، فيحرمني رزقي من الخفافيش .. أصبح على حين يقرضني الجوع أن أطير في الأجواء الشامخة حتى أصل الى البحر المتوسط أو الى المحيط الأطلسي أو الهندي وفي هذا من العنت ما لا يطيقه طير وان كان نسرا.. وانا لآمن أبداً على نفسي في الأجواء المنخفضة، فجناحي الطويلان الذهبيان، وحجمي الكبير تفاصحني، وليس هناك من طير لا يعرف أنّني ابن النسر الراحل، وكلهم مكلفون بتمزيقني إرباً قبل أن تمّسّ قوادي الأرض ..

- أرى يابني أنك تعاني كثيراً.. فما كان أغنى والدك عن ذلك التجديد الذي استحدثه، وقلب فيه دنيا الطير عاليها سالفها ..

وتنهى النسر وقال:

ماذا يفيد الأسف؟ كان والدي نسراً عظيماً، ولكن مجتمع الطير لم يبلغ الرقي الكافي لفهم اصلاحاته .. كان شجاعاً صريحاً، حسن الظن بالطير، وما علم أن الشعارات البراقة قد تحملها حقائق جوفاء، وأن من المساواة ما هو أشد تعسفاً وأقل عدالة من قانون الغاب.

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- كان نسرا حقيقا، سيدا نبيلا، ومع ذلك كنت أبعد نظرا منه في فهم الطير، أقيمها كما هي دون هالات.. ان عشرتي الطويلة له جعلتني أؤمن بكل ما يقول، كان بعيد النظر لا يخطئ الصواب والتقدير.. كيف له أن يدري بأن تلك القيم البديعة يمكن أن تشوّه بتلك الطريقة؟

- وهناك أحد يفعل ما فعله؟ أن يتخلى عن قوته وجدارته لقيادة مجتمع الطير؟ أن يسلم تاجه لاحتمالات الصدفة الغبية؟

- حين حدثني بما ينوي فعله ضحكت.. ظننته يمزح كعادته.. ولم أدر أنه كان جدا كل الجد.. قال لي سأفعل شيئا لم تفعله النسور قبلي.. لن أسلم تاجي وصولجاني لابني.. ولكنني سأخفيهما في مكان سري.. وسأجعل أبناء الطير جميعا يقفون على قدم المساواة في أحقيتهم لامتلاكهما.. فمن كان نافذ بصيرة أكثر من غيره عرف أين أخفي تاجي وصولجاني..

- آخ، آخ.. ليتك كنت تحايلت لمعرفة المكان السري منه.

- أنت تعرف أن هذا كان مستحيلا، أبى أن يفشي السر لي أو لأي طير كان، فماذا كانت النتيجة؟ لم يحظ بالتاج والصولجان أبعد الطير بصيرة، ولا أحسنها كفاءة.. ما كنت لأحزن لو حدث هذا، ما كنت أبدا لأحزن.. لأن مثل هذا الطير، لو ملك التاج والصولجان، لكن يملك من الحكمة وبصيرة ما يجعل حياة الطير جميعا خاضعة لقوانين العدل التي كانت تحميها وبالتالي، ولا تقذف بنا خارج مجتمع الطير..

نعم، لعبت الصدفة لعبتها العابثة المتهورة، فقدت غرابا إلى التاج والصولجان..

- تصور يابني، أنتي أنا التي أرشدته إلى المكان دون أن أدرى.. طلبت منه تنظيف المدخنة، فيالي من حمقاء! ولكن كيف كنت أدرى أن والدك خبا تاجه وصولجاته في مدخنة القصر؟ قلت له "أيهما الغراب لست أدرى ما الذي يسد المدخنة فلا تشرق الهواء كما يجب. منها فأنت فاحم السوداد ولن يتغير لونك بسبب الهباب، وليس في ريشك

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

واحدة بيضاء تأسف على تلونها بالسودان. ان غطسة واحدة في البحيرة تجعلك نظيفا كما كنت بينما غيرك، ممن يغلب عليه البياض، لن يصفو كدره لو اغتسل عاما كاملا.. هل كنت أعلم أن هذه المهمة القذرة ستقوده إلى سعاده، وتجلب له حظا لم يجده فيه ولم يستحقه؟

- ما حدث قد حدث.. ان الطير التي لم تعرف عن الجيفة، لاتعرف اليوم عن أي لحم كان، ولو كان نسرا مقهورا مثلـي.. فرضت أذواقها وألوانها وطبعها، وطبعـت كل شيء بطبعها..

- لنعد يابني الى ما نحن فيه، فلا يفيد التأسي في شيء.

- نعم لنعد الى ما نحن فيه.. أنت بحاجة الى طبيب يعالج عينيك فيعود اليهما النور.

- طعنت في مركز قوتي وموضع تفوقـي.. ماذا يبقى لي إن فقدت نعمة البصر..

- لن أجعلك تقدـينه.. سأضحي بالغالـي والرخيص كـي يعود إليـك.. ولكن دعـيني أفكـر بالوسيلة.. كل مكان أصبح مـتنـائـاً بالغرـبان.. عيونـها النـهمـة تـحدـقـ بكـ، تـفترـسـكـ، تـروـزـكـ لـتـعـرـفـ أيـ مـوضـعـ فيـكـ أـسـمـنـ لـحـماـ وـأـشـهـىـ مـذاـقاـ..

- أليس لك أصدقاء يساعدونـكـ؟

- الأصدقاء يكونـونـ حيث يكونـ التـاجـ والـصـولـجانـ.. نـادـرـونـ منـ يـقـونـ عـلـىـ وـلـائـهـمـ وـوـدـهـمـ فيـ ضـيقـكـ وـشـدـنـكـ.. هـجـرـتـيـ حتىـ زـوـجـتـيـ فـكـيفـ آـمـلـ بـالـأـغـرـابـ.

قالـتـ الأمـ مؤـاسـيةـ: - لـاتـحزـنـ يـابـنـيـ..

وقـالـ لهاـ وـقـدـ ثـارـتـ شـجـونـهـ: - تـصـورـيـ أـنـهـ جـعـلـتـ منـ جـنـاحـيـهاـ الملـكـيـنـ مـرـوـحةـ لـلـغـرـابـ، مـنـظـفـ المـداـخـنـ بـالـأـمـسـ، وـصـاحـبـ التـاجـ الـيـوـمـ..

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

وعادت إلى تهيئة خاطره: - لا تأس على شيء.. لعل الله يبدل
هذا الزمن ويعوضك بأحسن منها.. لو لم تكن من الغباء على قدر كبير،
لم تكن تفضل غرابةً على نسر.

قال وهو يرمي فرخه النائم داخل الوكر: - لو لا أن لي فرخاً
علي أن أدرّب جناحيه على الطيران لفضلت باطن الأرض على العيش
فوقها..

- الحبيب، ليسلمه الله لك!.

- أدرّبه حتى يقوى جناحاه.. ولكنني أحياناً أتساءل ماذا تفيبني
اليوم قوة جناحي وبعد نظري؟ ماذا تفيبني قدرتي على تحدي العواصف
والأحوال؟ ماذا يفيبني أن أكون قادراً على امتطاء الرياح الشرسة؟ كل
شيء قد صغر في هذه الدنيا، وأصبحت فضائل الطير عبئاً عليها.. فهل
أربى فرخي على الفضائل التي تعارفنا عليها عشر الطير وأجعله مثلّي
غير قادر على الحياة؟، هذا ما يحيرني ليلى ونهاري، أم أتركه مهملاً
كارداً الطير من أبناء عمومتنا العقابان الذين يقاتلون الجيف، وتمسّك بهم
الغربان وتعلّم طوع إرادتها.. إنني أعده لدنيا أصبحت فيها الشجاعة
وبعد النظر، والحزن والعزّ، والصدق والصراحة من الرذائل، والجبن
والنفاق والميوعة والاستسلام والصغار والدناءة من الفضائل..

قالت الأم معلقة: - لاشك أن الطير أصبحت على حال يأكل فيه
بعضها بعضاً.. أصبحت تعيث في الأرض فساداً.. كانت جدتي رحمها
الله نقص على في صغرى حكايا وقصصاً فيها حكمة كثيرة، وتقول:

- عندما تصبح الطير على حال لا يؤخذ فيها حق المظلوم من
الظلم، تأتي عليها الرياح فتهدم أعشاشها وتقتل فراخها، ولا تترك لها
ماوى يؤويها، فتهيم على وجهها حتى تصبح أثراً بعدعين.. إن العاصفة
لابد آتية والحياة لا تبدل سنتهما.. وكل مكان فضيلة في الماضي سيكون
فضيلة في المستقبل، واعلم يابني أن فضائل اليوم تتطور عن فضائل
الأمس وليس عن رذائل الماضي.. فلا يغرنك النجاح والنعم الذي يتقلب

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

فيه إلى حين السفلة والجهال، والتزم بما التزمت أفالن النسور قبلك..
فحن لانطاطئ الرؤوس إلا الله، ولا نقرب الدنيا وفيينا عرق ينبع..
- حسنا يا أماه، حسنا..

- نحن من أصل انساني يا بني، في الأساطير أن النسر كان انساناً فعوقب لأنه متكبر، يحب العزلة، ولا يقرى الضيف.. والحقيقة يابني إننا نفعل ذلك لأننا نخاف خوفاً شديداً على فراخنا، فنحن لسنا طيراً نسولاً. إننا لانضع إلا ببيضة واحدة، ونتعب في إعداد ذريتنا للقيادة، ولا نتركها هملاً، ولذلك نفضل صرف الوقت في تعليمها وتدريبها، وقص القصص التي ترهف أحاسيسها وتتمي مداركها، وتشمخ بهمها. ولسنا كالغربان آكلة الجيف التي إذا وجدت فرحة في ظهر بيبر أو في عنقه سقطت عليها ونقرته وعقرته.. نحن محرّم علينا أن نأكل الجيف وقلوب الطيور، لأننا نؤمن أن الطير تبعث بقلوبها، ولا نصطاد إلا شرار الطير.. أما بالنسبة لقرى الضيف فإن أوكرانا عالية ولا يمر بها عابر سبيل، ولا يأتينا إلا متقصد لزيارتـا، ونحن كرماء نعطي قلوبنا قبل شرابـنا وعلـنا، ولسنا مثل أبناء أخوانـا من نسور البحر التي تطرد فراخـها قبل أن يشتـد عودـها، لأنـها نهمـة بطـنة، تغارـ من شـباب فـراخـها وشـهيـتها الجـيدة..

استيقظ فـرـخ النـسر من نـومـه نـشـيطـاً وأـخذ يـرـفرـف بـجـناـحـيه الـذـهـبـيـن مـقـرـباً مـن بـاب الـوـكـر.. وـكان الـوـكـر فـي عـرـض جـبـل عـمـودـي لا يمكن لـمن يـتجـاوز بـاـبـه إـلا السـقـوط فـي الـهـوـة وـالـهـلـكـة إـن لـم يـكـن جـنـاحـاه يـقوـيـان عـلـى الطـيرـان.

وقـال الفـرـخ وـهـو يـفـرـك عـيـنـيه مـن أـثـر النـعـاس: اـسـمح لـي يـا وـالـدـي أـن أـجـرب جـنـاحـي خـارـج الـوـكـر.. فـقطـب النـسر بـيـن حاجـبيـه وـقـال: - لـأـسـتـطـيـع الـيـوـم أـخـذـك لـلـتـدـرـيـب، فـلـدـي مـهـمـة عـلـى الـأـرـض..
- إذـن اـسـمح لـي أـخـرـج وـهـدـي..

وانتهرت جدته قائلة:

- كيف تخرج وحدك؟ هل التحليق أمر سهل؟. لاتزال صغيراً
قليل التجربة.

- أبداً.. إن جناحي قويان.. ووالدي يقول لي أنني حذر ويثق
بي.. أليس كذلك يا والدي؟

و قبل أن ينتظر جواباً أخذ يرفرف بجناحيه مستعداً للطيران لولا
أن النسر الكبير سد عليه الطريق: - أن ترفرف بقوة داخل الوكر ليس
دليلًا على أن جناحيك يصدان في الجو.. لم تستكمل تدريبك بعد وعليك
أن تفعل ذلك تحت إشرافنا حتى تقال شهادتك الجامعية.. يجب أن تشبه
الملائكة في تحليقك العالي ولن أتركك وحدك تسقط وتؤذى جناحيك، أو
يتصيدك صياد، أو يقتضك غراب أو خفافش..

وأردفت الجدة:

- انظر الي كيف فرشت الأرض بورق الدلب كي أحميك من
الخفافيش، لعنة الله عليها..

وقال النسر وقد تذكر شيئاً بالمناسبة:

- منذ يومين وجدت صيادا يحوم في الجهة الجانبية للوكر،
ولست أدرى كيف ارتقى هذا المكان فأخذت أصربه بجناحي وأخمشه
بمخالبي حتى أدميت وجهه وظاهر يديه. وكنت أشتهي أن أفقأ عينيه
لولا أنه أحفاهما بشدة بكفيه.. ولذلك فان الحذر واجب، وعليك أن تكوني
يقظة في حماية حفيتك، فهو كل ما بقي لنا.. انه المستقبل الذي أرثونا اليه
بفارغ الصبر، ولو أن مكروها أصابه لاسمح الله لأنفرض فرعنا من
هذه الرقعة التي عاش فيها أجدادنا ألف السنين..

كان الوقت منتصف الظهر، وهو الوقت الذي يخرج فيه النسر
من وكره ساعياً لرزقه، فهو يكره الخروج باكراً حتى لا يصادف جماعة
الخفافيش من حرس الأجواء التي لاتطير في ضوء ولا ظلمة بل بين
بين، وتخرج جماعات عند الشفق لصيد الفراش والبعوض الذي يرتفع

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

في الهواء وينتشر. وودع أمه وقبل فرخه بمنقاره المعقود، وطار تاركا ذرى الجبال، منحدرا الى الأرض مارا بصدع الصخور وأعلى الأغصان والماذن والأبراج.. ودهش أنه لم يسمع زفرقة العصافير في المدينة المجاورة للبحيرة، ولكنه تذكر أن اليوم عيد البيادر، فلا يبقى طير الا طار الى البساتين ما عدا ما قام على بيض أو رعى فراخا.. ولقد اختار ملك الغربان تلك المناسبة بالذات لاستلام الحكم حين كانت الطيور جماء في شغل عما يدور حولها من أحداث بالتقاط الحب من البيادر، فلا تدري بما يجري حتى يتم له الامر.. وأصبح عيد الجلوس وعيد البيادر عيداً واحداً.. وكانت تلك مناسبة ذهبية لجماهير الطير للتقاط الحبوب والبذور والفاكهة والديدان المنتشرة في ساحة الاحتلال، بينما كانت الكواسر منها تجتمع على موائد بها ما لذ وطاب من الأسماك والفئران والأرانب والحرادين..

وبلغ النسر دغلاً في روضة كان يعيش فيها صديقه العندليب، فوجد عنده الحمام، وكانا كما أسلفنا يشكون أحدهما للأخر ضيق ذات اليد وانسداد أبواب الرزق وعيش الخوف والكاف.. فلما وصل النسر إلى عش البيل احتفى به والحمام احتفاء الأحباب، ولم ينقص من هيبته أنه كان معتزلاً السلطان، حتى خجل من الاقرام الذي قوبل به، وتواضع وضم جناحيه على غصن مقابل لعش العندليب لاستحالة ولوح داره الضيقة.

وسأله النسر السيدة الحمامه اللطيفة عن أحوالها وأين تعيش فقالت له بأنها تسكن في كوة في أعلى مئذنة في جامع المدينة المجاورة، ثم بدأت تحدثه بما تلاقيه من كرب بسبب نقاط ريشها.

قالت متهدة:

ان بنات عمومتي من ذوات اللون الداكن لا يلقين ما ألقى من عنـت. ويرقـن السـلم الـاجـتمـاعـي بـسـهـولة وـيـسـرـ، أما أنا فـليـسـتـ الأمـورـ مواـتـيةـ لي لأنـنيـ ذاتـ يومـ أـخذـتـ أـتحـدـثـ عنـ فـضـائـلـ الحـمـامـ الزـاجـلـ وـحـبهـ

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

لوطنه وحده في العيش فيه بدل الغربان الأغراب . ومنذ ذلك الحين دمع ريشي عند الصدر بدمعة حمراء تشير إلى أنني غير متعاونة . وأصبح الغربان ينظرون إلى بعدها ويردونني حين أرد الماء، وينقروني حين أقع على الحب. اتنى أعيش إليها السيد النسر في جو خانق بالتمييز العنصري.

كانت الحمامنة سيدة لطيفة مسرولة ذات اختيال وغنج وهديل عذب، حسنة العينين متقدمة الحدقتين، قصيرة المنقار متسرعة الصدر مديدة العنق عظيمة الفخذين، قصيرة الساقين، فأخذ النسر بجمالها، وذكر زوجته التي هجرته فتأوه وزادت شجونه . وانتبه الببل إلى ما به من غم، فعرف لواعج قلبه ولكنه بقي صامتاً لا يسأله عما به احتراماً ل الكبير شأنه وحزنه، حتى لا يكون هو البادي في الكلام، ولكن النسر بقي على صمته فيما يخصه، ولم لم أحزانه وشكواه، وسجناها في أعماق صدره، ثم أخذ يصغي إلى العندليب وهو ينصح الحمامنة في أن تترك بلدتها وتسافر إلى مكان آخر لا يهان فيه الحمام ولا يهدى ماء وجهه بسبب نقائه ريشه.. انقضت الحمامنة حتى كادت تقع من الغصن الذي جثمت عليه على يمين النسر لو لا أنه مد لها جناحه الذهبي فأمسكت به ممتنة، وعادت إلى مجلسها وقالت: "كيف تقول لي هذا ؟ اتنى ثابتة على العهد أنزع إلى وطني وإلى عشي الذي درجت منه ووكري الذي رببتي فيه ولو كان البلد الثاني أنعم لبالي .. أنا لن أترك الأشجار الحانيات على فراخي، ولا أحب أن أحرم من ترتيل المؤذن الشجي عند الفجر، ولا أهجر ذلك الموضع المقدس الساطع بأنوار الكهرباء الملونة، إن نوراً أخضر أنيساً يسطع في عشي طوال الليل، وأشاهد الناس من نوافذ المسجد المزينة جدرانه بالفسيفساء يقومون بشعائرهم الدينية، وأجلس عند حافة بركة أبترد في الفصل القائل، وأتابع بنظري نافورة المياه التي ترتفع في الجو ثم أرقص معها وأندب الماء . هذا إلى المناظر الرائعة

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

التي أراها من بيتي .. يجب أن تزورني ياسادة النسر وترى كم هو وديع عشبي .

- وأنت أيضاً وديعة، حتى لأحس أن العالم لايزال بخير ما دام فيه من أمثالك.

قالت الحمامه وقد انتعشت للإطراء :

لو خيرت يا سيدة النسر بين الخروج من الديار وبين خطر الموت في بلدي لفضلت الأمر الثاني. لايقع في نفسي أبداً البلد الغريب.

- بارك الله فيك !

لم يكن يعيي السيدة الحمامه الا أنها كثيرة الكلام، ولكنها مع ذلك تستهوي النفس وتشغف الفؤاد. ولو كان النسر في فراغ باللشد إليها كل يوم رحاله يستمع إليها، ولكنه كان في عجلة من أمره، وكان يريد أن يختلي بالعنديليب لأمر هام جاء من أجله.

لاحظت الحمامه من اقتضاب حديث النسر معها أن باله مشغول يلجمه حضورها وكانت الى جمالها قوية الملاحظة ذكية الفؤاد، فأدركت أن للصمت أحياناً فضيلة لاتعادلها أية فضيلة، فنهضت واستأنفت بالخروج مدعية مرض أحد فراخها وأن اخوته بحاجة الى الزق، فودعها النسر بأحسن مما استقبلته، ودخل الببل الى عشه وزودها ببعض الكرز والديدان المملحة فحملتها تحت جناحيها وطارت.

ولما خلا النسر بالعنديليب حدثه عما جاء من أجله، وسأله اذا كان يعرف طيباً فاضلاً مختصاً بين الطيور يمكنه أن يقوم على علاج عيني والدته أو القيام بعملية ان لزم الأمر. فقال العنديليب:

- أنت تعلم أن أفضل المستشفيات مقتصرة على أطباء من الغربان .. وحسب رأيي أنك لو التجأت اليها لطلبت منك القيام بتنازلات لاترضى بها.

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- أريد أن أعالج أمي في وكري، ولا أريد أن أقرب الغربان لأنها تطلب مني ثمنا باهظا، وهو أن أتخلى عن ريشي الذي يميزني، وأصبغه بالسوداء. والى هذا لا أنتمن غرابا على عينيها.

- ليس هناك من طير يغامر بالتحليق إلى مثل هذا العلو الشاهق حاملا أدواته وأجهزته. من الأفضل للسيدة الوالدة أن تنزل مستشفى خاصا مجهزا تجهيزا عصريا.

- حسن!

- ولكنهم هناك يطلبون الكثير، وقد تحتاج إلى إذن بالخروج من الدائرة التي يسمح لك الغربان بالطيران فيها.

- لست أحسن بشيء في سبيل عودة النور إلى عينيها.. وفكرة العندليب مليا ثم قال: "أعرف مستشفى يديره أطباء مهرة من الهداده.

- لأحب ذوي القنائز. ولو أن قنزة الهداد كانت ثوابا من الله على ما كان من بره لأمه، إذ يقال أنها حين ماتت جعل قبرها على رأسه.

- انه أفضل مكان أعرفه مما اعترضك عليه؟

- ليس لي اعتراض عليه بالذات.. ولكنني أعلم اليوم أن الهداد من برهها تضع قبورنا في جيوبها.

وضحك الطيران. كان النسر لا يزال بالرغم من ظروفه العسيرة يحفظ بحلوه النكتة وجلجلة الضحكة المرحة.

- حسنا ! أين تعمل تلك الهداده؟ أهي خارج المنطقة التي يحكمها الغربان؟

- بل فيها، غرب البحيرة. قال النسر متعجبًا:

- ولكنها منطقة مستقلة.

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- أي استقلال يا صديقي العزيز؟ أنت تعيش في عزلة، ولا تدرى ما يجري في عالم الطير. إنها ضمن ممتلكات الغربان ولو أنه لا يظهرون فيها كثيرا.

تنهد النسر وقال: "أنا لا أستطيع الدخول إلى هذه المنطقة، ممنوع على دخولها."

- أستطيع أن أطلب لك إننا بالدخول، فمن السهل على اقناع ملك الغربان أنك لاتبغي له أو لحاشيته الأذى.

- لو أن الأمر يتعلق بي ...

- أعلم ذلك، فمرّ بي بعد أسبوع من هذا التاريخ.. لا أحسب أن الطلب يرفض وخصوصاً ...

وقطع البيل حديثه فجأة كأنما خطر له خاطر مزعج لضيوفه سماعه فتوقف. ولحظ النسر ذلك وألح عليه أن يكمل ما كان موشكًا على البوح به فتململ وترجح ولكنه ازاء الحاف النسر عليه بالسؤال وما بدا عليه من مسحة غضب استطرد قائلاً:

- ما كنت أريد أن أجرح عواطفك بما ... ان أحداً من الطيور لم يجرؤ على اخبارك بالذى كان.

قال النسر وقد توجس شراً:

- أخبرني ولا تطل انشغال بالي.

- الأمر متعلق بزوجتك السابقة.

- لم يعد يهمني أمرها. ان من يطرد من قلبي لا يمكن له العودة اليه..

- ما كنا نحن أصدقاؤك نحب أن تحدرك هذا، فهي تبقى أم ولدك.

- قلت لك لاتهمني في شيء... وان كنت لأستمع لخبرها فمن باب الفضول لأعرف مدى الانحلال الذي أصاب مجتمع الطيور ..

قال البيل بلهجة معذرة:

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- في أحد الاحتفالات، ولا أدرى المناسبة التي أقيم فيها، إذ أن الاحتفالات كثرت حتى غدت كأعياد النصارى أكثر عددا من أيام السنة، رقص ملك الغربان مع زوجتك السابقة، وكانت متألقة في تلك الليلة أكثر من الثريات التي علقها البراع بين الشجر، وكانت قامتها تبلغ مثلثي قامة ملك الغربان ولونها الذهبي يتوجه قرب سواده الغربياني، وقد فردت جناحيها ودارت في حلبة الرقص، وأخذت تقوم بحركات في غاية الرشاقة والجمال وكأنها شعاع باهر راقص انعكس من مرآة طفل لعوب، ثم طوقت عنق الغراب بجناح وأخذت تصفق بالجناح الآخر، وطارت به وأخذت تقلب في الهواء حتى قطعت أنفاسه، وأصابه الانبهار بجمالها ورشاقتها وملكت عليه لبها فما عاد يستطيع فراها لحظة. ولقد طلب الزواج منها فقالت له بأنها تتزوجت عقايا من أبناء عمومتها، فما لبث بعد ذلك أن أرسل زوجها العقاب في مهمة رسمية على مستوى سفارة إلى ملك الخفافيش حيث كمنت له جماعة من الغربان، فتكاثرت عليه ونقرته حتى مات. وها هي ذي تعيش اليوم خدينة لقاتل زوجها..

كان النسر يهز برأسه دون أن يتقوه بكلمة، كان قلبه يعول ولكنه تمالك نفسه:

هناك من ركبت نفسيته على الضلال. والكل يحصد ما يزرع..
ولكن من أخبرك بأمرها؟

- أنت تعلم أنني لا أغشى الحفلات، ولكنني سمعت بالأمر من ضدفع عجوز أخذت تدق بالخبر في المستقع الذي تركه السيل في حفرة بالقرب من هذا المكان، حتى أسمعت كل طيور الغابة..

الاهوي في المزالق يبدأ دائمًا بخطوة غير متزنة.. كم حذرتها فلم تروعو ولم تفهم. ولكن مالي ولها؟ ما عادت تثير عندي أي اهتمام ..
وغادر عش البيل حزيناً، كانت حبه الأول ولم يعوض عنها حتى تلك اللحظة. ولم يكن صحيحاً أنها خرجت من قلبه إلى الأبد، ولكن

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

الكбриاء يجري على اللسان غير ما في القلب. وحاول أن يطردھا من خياله فتلح عليه وهو يعود إلى وكره ملقاً أو لاً بشكل عامودي حتى صعد في الجو عالياً ثم أكمل طيرانه أفقياً حتى بلغ وكره عند المساء. ووجد نفسه منجذباً في خياله إلى لطف الحمامه وأنسها وهو يذكر حديثها ووفاءها، ويقارن بينها وبين تلك التي غدرت به في محنته وتخلت عنه. وبعد أسبوع عاد إلى صديقه الببل فجد أنه قد دبر له إذناً بدخول الغابة، وكان مكتوباً على ورقة بُردى طرية بحروف سوداء وقال له:

- اطوه واحمله حين هبوطك بمنقارك فإذا صادفتك جماعة من الغربان، فصاحت مرتين فهي تزيد بك شرًّا فتوقف. ولا يتملك الكibriاء فتتجاوزها محقرأً إياها.. فالضعف المتسلط يزداد شراسة بقدر ضعفه، بل أبسط لها ورقة البردى فتقرأها عن بعد فهي كما تعلم حديدة البصر، فإذا سمعتها تصيح ثلاثةً فتقدم لأنها إن فعلت لن تمسك بأذى.. ولقد أخذت لك موعداً مع الهداهد، وستفرد للسيدة الوالدة غرفة خاصة بها وسأكون بانتظارك في شجرة حور عند الباب في صيحة الغد.

وفي اليوم التالي استيقظ النسر مبكراً وأيقظ أمه فتهيأت وسألته إذا كان قد تحدث مع الببل عن التكاليف، فأجابها بأنه خجل أن يفتح هذا الموضوع، وأنه سيدفع مهما كلف الأمر.. ولما قالت له بأنها لاتهتم بالمظاهر، وليس من الضروري أن يفرد لها غرفة خاصة، ثار في وجهها وقال:

- إن كل طير يساير مقامه، وأنا وإن كنت قد غدر الزمن بي، إلا أنني لا أستطيع أن أتخلى عن متطلبات مقامي، ولو لقيت كل العنت. وأعادت الجدة على مسامع حفيدها نصائحها وتحذيراتها في أن لا يترك الوكر في غيابها، ولا يغامر في الخروج، وبأنها تركت له من الطعام ما يكفيه أسبوعاً كاملاً. كانت تشبه ابنها شبهًا كبيراً إلا أن منقارها الأعلى أكثر طولاً وانعفاً، وانحنت على حفيدها وقباته وأسررت

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

إليه بأنها ستعود حاملة معها ما يسره من سمك طازج إن هو التزم السكون، وكان فرحاً مطيناً..

وأنشد النسر بجناحه جناح أمه وخرجا معاً وهو يقودها في الأجواء. وكانت الخفافيش تقوم بمهمتها في حراسة الأجواء، ولم تجرؤ على أن توقف النسر وتتأكد من جواز سفره بل ولت من أمامه هاربة. وقال النسر:

- انظري إليهم، هؤلاء الذين أخلفوا عهدهم تجاه بيت المقدس. في الأساطير القديمة أنهم استأذنوا البحر أن يأخذوا من مائه فيطفئوا بيت المقدس حين احترق، ولكنهم جبنوا عن التضحية وولوا الأدبار ناجين بأنفسهم . وأصبح الأمر لهم عادة.

وحين بلغا الأرض كانت جماعة من الغربان منشغلة عنهم بالتهم شمار شجرة رمان فكان كل غراب ينقر رمانة ويسمر فيها منقاره ويأخذ في مصها حتى يتركها جوفاء. وكانت آخذة في الامتصاص حين مر بها النسران، فتركتهما يمران دون أن تعرضا سبيلهما وقد أصيبت بنشوة وتركت عنها الحذر الذي عرفت به. ولم يحتاج النسر في رحلته أن يفرد ورقة البردي سوى مرتين، مرة عند مدخل الغابة، حيث اعترضته جماعة من الغربان تشرب الشاي وتلاحق بعينيهما الحراديـن التي تشب فجأة ثم تخفي بفجوات بين الصخور والأشجار. ولقد نبهها إلى قدومه نقار الخشب وهو يضع لوزة في فجوة صغيرة ويـسـندـهاـ بـقطـعةـ خـشـبـ حتـىـ يـتـمـكـنـ مـنـ نـهاـ،ـ ثـمـ يـنـقـرـهاـ نـقـراتـ ثـلـاثـ فـيـكـسـرـ القـشـرـةـ الـصـلـبةـ وـيـلـتـهـمـ مـاـ بـهـ مـنـ لـبـ ..ـ هـتـفـ بـالـغـرـبـانـ:

- أنظري من القادم.

فقمـتـ إـلـىـ بـنـادـقـهاـ قـوـمـةـ غـرـابـ وـاحـدـ،ـ وـدـلـقـتـ بـعـضـهاـ الشـايـ فـيـ عـجـالـتـهـاـ،ـ وـصـاحـتـ مـرـتـينـ،ـ فـتـوـقـفـ النـسـرـ وـنـشـرـ وـرـقـةـ الـبـرـدـيـ،ـ فـقـلـبـتـهـاـ وـنـفـحـصـتـهـاـ مـنـ كـلـ جـهـاتـهـاـ وـهـيـ تـتـقـلـ أـبـصـارـهـاـ الـحـذـرـةـ بـيـنـ وـجـهـ النـسـرـ الـمـقـطـبـ وـأـمـهـ الـعـجـفـاءـ،ـ وـبـيـنـ تـلـكـ الـوـرـقـةـ فـيـ يـدـهـاـ لـتـأـكـدـ أـنـهـاـ لـيـسـ

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

مزورة و ليس في الأمر خدعة ما .. كان ختم ملك الغربان و امضاؤه عليها، فسمحت للنسر بالمرور وهي في عجب لهذه الظاهرة الغربية التي لم تألف مثلاها، ولكن العجب أخذها بما صارت اليه من قوة و مهابة، وعادت الى شرب الشاي فرحة تعلق على هذا الحديث الخطير الذي يدل دلالة بالغة على مدى ما يتصرف به ملك الغربان من كرم و بنالة ..

ووصل النسر في الموعد المحدد، وكان هناك غراب كبير الحجم وقف حارسا في منتصف الطريق الموصى الى باب المستشفى، حيث وقف فراخ غربان لم تشتب عن الطوق، صغيراً الجسم عظيمة الرأس كبيره المنقار، جراء سوداء الجلد، أسرعت الى بنادقها وصوبتها الى صدر النسر، فقال في نفسه:

- لو كانت غير هذه الظروف لضربت بجناحي مائة من أمثالها ضربة واحدة، ولكن علي الامتنال. وفرد ورقة البردي مرة ثانية، فتهجاها الغربان الصغار وتأكدت من ختم الملك وامضائه وسمحت للنسر بالمرور وهي تهز رؤوسها عجباً وتسائل : "أتراه أصبح متعاونا؟" ثم عادت الى كتبها تقرأ فيها وتستعد للإمتحان.

ارتفع النسر في الجو بضعة أمتار فشاهد الببل ينتظره على غصن شجرة حور قرب باب المستشفى، فطار للقائه، وانتعش النسر وأنس بعد وحشة، ودخل الجميع فهبت عليهم رائحة خاصة من الأدوية المطهرة واستقبلتهم هددة طفيفة طالت قنزعتها وقادتهم الى وكر متسع تسلق حول بابه نبات فجان القاضي. وكانت الزهور الياكية المتكاثفة تحيط به كأنها هالة، وقد فرش بالقش النظيف، فخلعت الأم ازارها الأصفر وارتدت ثوباً أبيض كزنانيق الماء. كانت بادية الروع، فحين يتقدم السن يشتند الخوف على الحياة و التعلق بها. ولم تكن النسر الأم لتشذ عن هذه القاعدة، فلقد استبد بها القلق أن تفقد الرؤيا الى الأبد، أو أن يتوقف قلبها تحت المخدّر .

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

دخلت الغرفة هدهدة تحمل شوكة ورد بها مخدر من سم الحياة المجفف، ووخررت بها الأم في قفاصها وكانت وخزة لطيفة لم تلبي بعدها أن فقدت وعيها فجأة هدهد ضخم يحمل سعفة نخيل ثببت على دواليب، وتعاون والنسر على حملها اليها، وجرها الى غرفة العمليات التي نصب على أرض منبسطة وزودت بمشارط وابر صنعت من عظام الأسماك وبعد نصف ساعة عادت شاحبة الوجه على عينها ضماد، كان كل شيء قد انتهى بالنسبة للطبيب الهدهة وبقي عليه أن يلاحق النسر بفاتورة الحساب..

وأرسل هدهدة قصيرة القنزعة مستديرة العينين فقالت:

- أنا المحاسبة، واليوم آخر الشهر، وأريد إغلاق حساب الشهر ..

وناولته ورقة بردي كتب عليها: سمكة منشار لمتحف المستشفى، أربعة أزواج من السمك الطيار للطبيب الجراح، زوجان من سمك البوّق للطبيب المخدر، زوجان من سمك الفليون للطبيب المساعد، ثلاثة أزواج بوري لغرفة العمليات، عشرون شبوبة للسرير عن الليلة الأولى، ثلاثون صورة عن الليلة الثانية، أربعون ..

وقاطعها النسر:

- كفى، كفى، هذه مطالب ضخمة لنصف ساعة عمل..

قلبت الهدهة شفتتها وقالت :

هذه أسعارنا، فلم لم تتفاهم من قبل مع رئيس المستشفى؟

- كنت أظن الأمور كما كانت في الماضي..

- تغيرت الدنيا كثيراً وأنت لا تدربي بها..

- وإذا رفضت هذا الاستغلال؟

يلقى بالبلبل في السجن، لأنه كفلاك عندنا.. ولكنني أحسبك تمزح،
فما أنت بالطير الذي يتصل من التزاماته.

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

خرج النسر لايلوى على شيء، وطار الى وكره وجلس فتره طويلة متفكرا من أين يحصل على الأنواع الغريبة من الأسماك.. وراجع كتبه ليطلع على هجراتها، فالأسماك تقطع المحيطات، وقد توجد في فصل على الشاطئ الإفريقي، وفي الفصل الذي يليه في الخليج العربي، وفي غيره في الأطلسي، أو تأتي الى البحر المتوسط، أو تقطع البحر الأسود وتصعد الدانوب.

وبداً بأسهلها منالا، فطار الى شواطئ المتوسط بعد أن صنع شبكة من القب طوال الليل، ونام قليلا عند الفجر، ثم انطلق الى البحر، وأخذ يحوم تحت قبة الشمس، فما أن تخرج سمكة الى سطح الماء فيهوي اليها من حلق حتى يسمع صيحة الغربان المثارة من خفر السواحل، ويرى بنادقها المشرعة فيعود مسرعا الى التحليق. أصبح عسيرا عليه انتزاع رزقه من الأماكن القرية، فطار الى عرض البحر ، وللأسماك هناك كانت من النوع الكبير، ومن المستحيل عليه حملها.. ومرة تدافت الأمواج حتى كأن بركانا انبجس من باطن البحر ولم يلبث أن ظهر حوت يبلغ ثلاثين قدما، وكان يشاهد أسماكا تبهر الأنظار. ظهرت له سمكة جمياة مخططة باللونين الأصفر والرمادي، وأخرى حمراء كأنها شعلة لهب، فتجاوزهما . فأسماك الأعماق لايلذ طعمها، ولم توضع في القائمة المطلوبة منه. وتتابع تحليقه في الأجواء الغربية قرب الشيطآن، ولكن نسور البحر كانت تهيمن على المنطقة ولا تسمح لدخول بينها.. تصدى له أحدها، وقام بينهما صراع دام أنهكه حتى تغلب على خصمه، وحشا شبكته بما وقع تحت يده.. وحين غاب قرص الشمس كان قد دار على شواطئ المتوسط كلها وملأ شبكته بالبوري والشبوط والصلور والحنكليس والسلمون وعاد بها إلى المستشفى، وأسلمها للهدهة المحاسبة فسجلتها كدفعة أولى، وجر جناحيه منهكاً إلى حيث كانت أمه، فوجدها صاحية والبلبل قربها يغنى لها بصوته الشجي ويعزر عندها حب الحياة وغرiziaة الشفاء..

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

أما رحلته في اليوم التالي فكانت إلى الخليج العربي والمحيط الهندي، واعترضت في طريقه الرياح الموسمية والأمطار تدفعه في الأجواء كما تدفع موجات البحر، فلا يتقدم حتى يتاخر. ولقد طال به التحليق والطيران وهو يحس كأنما يراوح في مكانه لا يتجاوزه وأحس بجناحيه منهكين متعبين، ولكن كان عليه الحصول على السمك الطيار بأي ثمن، وأخذ يتربّق الموج يتعالى في المحيط ويتناول ويناطح السحاب ثم يستوي وتلتحق الموجة الأخرى كأنها فريق كرة صاحب. ولاحظ سمكاً يندفع من الأعماق إلى الأعلى كأنما يهرب من خطر محدق به، فلقف ثمانية منها وأودعها شبكته، ثم رحل إلى البصرة حيث كانت طائفة مهاجرة من أسماك البوّاق قادمة لتوها من المناطق الاستوائية فتبعها، وتحين فرصة خروج سماكة يافعات للسطح لاستنشاق الهواء فاختطف أربعة منها وأودعها شبكته. وكان حمله ثقيلاً ينوء به، والريح تدفعه وتکاد تلقي به في اليم طعاماً للأسماك، وهو يمسك به بكل قوته بمنقاره الصلب المعقوف حتى بلغ غايتها.. وألقى بحمله أمام الهدأة المحاسبة فعدت الصيد وصنفته وسجلته في حسابها، ثم أرسلته إلى المدقق.

دخل النسر على والدته فشاهد البلبل قربها يغني لها ويلقمها طعامها فشكره على مروعته. ووجد أن أمها قد تحسنت أحوالها فحدثها عما لقي من نصب في يومه فقالت:

- ماذا تفعل الهدأة بكل تلك الأسماك التي تراكم لديها؟ هل فقدت الطير فضيلة القناعة؟.

وأخذ البلبل يفسر الأسباب التي أدت إلى ارتفاع الأسعار، وقال أن مدير المستشفى تعهد أن يقدم مليون سمكة من صغيرة وكبيرة حتى أفرغت له تلك الأجمة التي يديرها اليوم وأنه أنشأ جمعية من الهدأة ساهمت كلها في جمع تلك الكميات الهائلة التي تذهب بدورها لتزود موائد حفلات ملك الغربان وحاشيته من شرار الطير التي لم يعد لها من

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

هم إلا اقتناص اللذات.. وعليه أن يفي بالتزاماته من مرض الطيور التي تؤم مستشفاه.

كان قد بقي من القائمة تلك الأسماك التي توجد في الباسفيك والمحيط الإطلاطي. وكانت المهمة الأخيرة أشق المهام. ونام مبكراً واستيقظ عند الفجر وفرخه لايزال مستغرقاً في النوم، وذكر أنه لم يتمكن أن يفرح قلبه بسمكة طازجة، وأن ما يقوى على حمله يذهب كله إلى إدارة المستشفى، ولكنه عول أن يأتيه المساء بشيء مهما ناءت جناحاه ومنقاره بتقل ما يحمل. كان النهار متندباً بالغيوم وريح غريبة تهب بشراسة فوق الموج فيصطخب ويعلو مزاجراً كأنه يحاول اقتناص النسر وتغيبه في الأعماق، ومرت ساعات عليه في التحلق والريح الشرسة تدفعه، وأحس بوهن في جناحيه ولكنه لم يتوقف حتى بلغ غرب الإطلاطي حيث سمع بوجود سمك المنشار الذي تريد إدارة المتحف المائي في المستشفى أن تحفظ بنموذج منه في البحيرة. ولكنه لم يجد لذلك النوع أثراً..

تساءل النسر:- أترى الأسماك التي تحب الدفء هاجرت إلى الجنوب بسبب العاصفة وبرودة الجو في هذا الشهر المتقلب؟. وطار إلى الشواطئ الجنوبيه.. وخيل له عن بعد أنه يرى سمكة منشار تتدفق إلى سطح الماء فهو نحوها كلمح البصر، ولكنها كانت لسوء حظه سمكة قرش قبضت على جناحه وشدت عليه بأسنانها. وحاول الفكاك منها بكل ما أوتي من قوة، وهي تمسك به تريد جره إلى الأعماق فتلتهمه هناك. وكان الموج يعلوه حيناً وينحصر عنه أخرى وهو يدافع عن نفسه الخطر المميت، ولم يستطع تخليص نفسه حتى قضمت السمكة فلذة من جناحه. ولم يشعر بألم للوهلة الأولى وهو يحاول الصعود العاومدي ولكنه شعر بفقدان توازنه في الهواء، وأن أحد جناحيه كان يرفرف الآخر كان ينزف، فحط على الشاطئ، ووجد شجرة يخرج من لحائها صمع، فتنف من ريش الجناح في موضع الجرح ودهن بالصمغ جناحه الكسير،

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

وتوقف بذلك النزف. واستطاع حين حاول مرة أخرى أن يرتفع بضعة أمتار عن سطح البحر إلا أنه فقد القدرة على التحلق العالي. وعاد إلى البحث عن ضالته فوجدها وأمسك بمنقاره بوزها المنشاري، وكان يغمرها من حين لآخر بالماء كي لا تفقد الحياة ويعود بها حية إلى البحيرة.

طار الهوينا، وحالقه الحظ في طريق عودته فكانت الريح الغربية تدفعه دون جهد كبير ويحس بها أكثر دفئاً كلما تقدم ولو لا هذا لما وصل إلى غايته في الموعد. وما كاد قرص الشمس يغيب حتى كان يحط على شاطئ البحيرة ويودع حمله هناك وأسرع إلى الهدهة المحاسبة ليخبرها بأنه وفي الجميع التزاماته، وأخبرته بدورها أن أمم عادت إلى وكرها بعد أن شفيت تماماً. كان واهناً، وطار قريباً من الأرض وقد اتخذ حركة دورانية ليتجنب الغابة، وكان جرحه ينづف مرة أخرى وقد فقد المادة اللصيقة بفعل الإحتكاك، وبلغ سفح الجبل حيث يرتفع وكره فوق الجبل، ورآه في الغسق فجوة مظلمة في صدع جبل أجرد فجثم مكانه، واستبد به الوهن والألم والجوع، والخفاقيش تمر به وتضربه بجناحيها. تغير العالم، تغير إلى الأسوأ.. إنه يشبه حاله، فقد توازن، فقد القدرة على التحلق، وأصبح كل ما فيه صغيراً لا إبداع فيه، يركض لا هثاً في سبيل الضرورات.. ما عاد يستطيع أن ينتمي إليه، أو يتعايش معه.. فلم يحصل على حياة لافرح فيها ولا جمال؟. وضم جناحيه إلى صدره، وبقي الليل بطوله يفكر فيما آل إليه أمره، إنه وحيد وطريقه مسدود في مجتمع الغربان. فطبعه كالقدر المسلط على رأسه، الحرية أو الموت. إنه خلق سيداً نمراً ولن يكون أبداً خفشاً أو غرابةً.

وعند الفجر، عادت إليه الرغبة في الحياة، يجب أن يصمد، يجب أن يجد طريقاً، يجب أن يناضل. وحاول أن ينفض عنه وهذه وبيث العزم في أوصاله، سيقبض على أول غراب يمر به ويلتهمه فتعود إليه قوته، ويأخذ طريق الجبل الجانبي ويصعد فيه، فإذا ما وصل قريباً من

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

وكره شد عزمه فيطير تلك المسافة الصغيرة، ويبقى هناك ريشما يلتئم
جرحه وينبت له ريش جديد..

وبعث التفاؤل في أوصاله رعشة انقضت لها فؤاده، وصعد
بصره في الجو. كان هناك طائر يحوم قرب وكره، طائر ذهي. وحين
نفرس فيه عرف فيه فرخه..

ووضع جناحه على صدره وضغط عليه. كان قلبه يخفق بشدة،
جزعاً وأملأاً وهو يراقب طيران فرخه الأول دون رقيب.. وحوم في
الهواء وارتفع، ثم عاد إلى الوكر ثم حلق وما عاد يرى..
وابتسم النسر لنفسه.. اشتد جناحا فرخه واستقل.. وغداً سيهجر
الوكر ليجد له وكرآ آخر، فلا يتسع جبل لنسرین..

واستبد به جوع أليم وحاول الطيران فوهن عن ذلك، وشاهد
حيث وقع ثعلباً انقضت عليه الغربان ونهشت قلبه، ثم طارت بعيداً عنه.
كانت فلذة منه تكفيه لاسترداد قوته، ولكنه نظر إليه باشمئاز كبير..
كيف يستطيع نسر أن يأكل الجيف؟ كيف يطعم من فضلات الغربان؟
وبقي في مكانه جاثماً لا يقربه، وود لو يعود إلى مكانه الأول،
ففعل فرخه يراه ويأتي إلى إنقاذه، ولكنه لم يستطع أن يتزحزح قيد أنملة،
نزف كثيراً بالرغم من ضغطه المتواصل على موضع الجرح، وأحس
بدوار فأغمض عينيه، ثم فتحهما فرأى الدنيا غبشاً كأنما تلفها أبخرة مياه
ساخنة ترتفع في الجو من ينبوع حار، وسمع صوتاً أليفاً يقول:

- إنه النسر، صديقنا النسر ما به؟

ولاح له أن طيراً أليضاً يحط قربه ويهدل.. لابد أنها صديقته
الحمامه.. إن صوتها يتهدج كأنها تعول.. ولكن لم؟ إنه سيعيش، لا يجب
أن يخلُ أصدقاءه. إنهم يعولون عليه وينتظرون ظفره، لمن يخيب
رجاءهم ويتركهم للغربان..

وفي الوكر في أعلى الجبل كانت أم النسر تقول للعنديب الذي
جاء لزيارتها:

يسرى الأيوبي نسر البحيرة قصص قصيرة رمزية

- لم أستطع أن أمنع نفسي من الفضول لأعرف ما يجري..
النهر جف وليس فيه قطرة ماء.. لقد سرق ملك الغربان ماء النهر ونحن
ننظر ولأنفهم ما يعنيه الحفر قرب البحيرة الذي كان قائماً على قدم
وساق.. سيجعل جماعات الطير تعطش حتى الموت ويحول الأرض
الخصبية إلى صحراء. يجب أن تفهم كل الطير هذا الأمر وتتوقف عن
شجارتها وتنبذ فرقتها وتصد جماعة الغربان وتردها عن غيها. وسمعت
فجأة هديل الحمام.. بدأ خافتًا شجياً وعلا في الجو. كان نغماً كأنه
نواح، ملتفاً ترجمّع الصخور الصوانية. ووقفت في باب الوكر وتفرست
في البعيد. وهناك رأته نسرها الحبيب الذي أنقذ نور عينيها، وهوت
كحجر يسقط بفعل الجاذبية إلى الأرض.. كان في الرمق الأخير،
وحملته على جناحيها إلى وكره، وشعر النسر وهو يحلق أن الله لن
يخلذه..

* * *